

تحية إلى الياس شوفاني

محمود سويد

عشرة أعوام خصبة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية

بيروت، حيث عمل باحثاً زائراً لثلاثة أشهر، ثم عاد إليها في السنة التالية (١٩٧٣) حيث انضم إلى أسرتها باحثاً ثم رئيساً لقسم الدراسات الإسرائيلية. وفي الوقت نفسه مناضلاً في حركة "فتح"، حتى آب / أغسطس ١٩٨٢.

تزاملت مع الياس في المؤسسة عشرة أعوام ونيف في مكاتبين متجاورين. كنت أعمل رئيس تحرير النشرة عن المصادر العبرية (وكانت في حينه تُعرف بالنشرة الزرقاء لأنها تصدر على ورق أزرق وكانت، على ما أعتقد، أول نشرة بالعربية تترجم وتلخص أهم الأخبار والتحليلات عن الصحافة والدوريات العبرية) وكان على رأس فريق المترجمين عن العبرية الأستاذ سمير جبور (من شفاعمرو) الذي طرده الإسرائيليون لنشاطه الوطني، وبعد أعوام المؤسسة في بيروت حطّ به شتاته في قبرص، ثم في كندا. وكان الياس "مرجعنا" جميعاً فيما يستعصي على المترجمين من العبرية، والإنجليزية على السواء، وكانت

كان في إمكان خريج برنستون أن يكون أستاذاً جامعياً لامعاً ومفكراً مرموقاً يناضل من المهجر، مثل كثيرين من أقرانه فيغذّي الميدان بأفكاره وآرائه، لكن الياس شوفاني قرر أن يقرن الفكر بالعمل. وبين الجامعة والميدان اختار أن يكون مناضلاً ومفكراً على أرض الصراع، وأن يلتحم برفاقه من أعضاء حركة التحرير الوطني الفلسطيني ("فتح") فيكتب ويحاضر في العلن، ويناقش مع الرفاق والأصدقاء في الحلقات المغلقة. ومن خلال الممارسة الملتزمة والتّماس المباشر مع مختلف المستويات القيادية في "فتح"، تكونت لديه نظرة نقدية صارمة للقيادة، عبّر عنها عملياً في آخر آب / أغسطس ١٩٨٢، إذ غادر مع الذين غادروا بيروت إلى دمشق، منفصلاً - فكراً ونضالاً - عن الذين غادروا بيروت إلى تونس.

زار الياس شوفاني، بعد عودته من الولايات المتحدة، في حزيران / يونيو ١٩٧٢، مؤسسة الدراسات الفلسطينية في

المؤتمرات الصهيونية بالعربية)، فأشرف في سنة ١٩٧٧ على إصدار: "المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون - ١٩٧٢"، وعلى إصدار كتاب: "مناحم بيغن: من الإرهاب إلى السلطة" - دراسة في طبيعة السلطة السياسية الجديدة في إسرائيل.

وفي سنة ١٩٧٨ أشرف الياس على إصدار كتاب وتوثيق زيارة الرئيس المصري أنور السادات لإسرائيل، ثم أشرف على إصدار كتاب توثيقي نقدي لـ "مشاريع التسوية الإسرائيلية ١٩٦٧ - ١٩٧٨".

وفي سنة ١٩٧٩ أصدر كتابين هما: "من تسوية إلى حلف: طريق بيغن إلى القاهرة" و"إسرائيل ومشروع كارتر".

انقطع الياس في دمشق عن المؤسسة في بيروت عدة أعوام، ثم تواصلنا وكلفناه مراجعة كتب تتصل بإسرائيل، وأحياناً الكتابة أو مراجعة مادة لـ "مجلة الدراسات الفلسطينية" التي حلت في سنة ١٩٩١ محل النشرة عن العبرية. وعمل أكثر من سنة على تأليف كتاب "الموجز في تاريخ فلسطين السياسي - منذ فجر التاريخ حتى سنة ١٩٤٩" الصادر عن المؤسسة في سنة ١٩٩٦.

لم تكن الحياة عادلة مع الياس شوفاني: توفيت زوجته في عمر مبكر، واحتضن ابنتيه إلى أن تخرجتا وغادرتا للعمل في الخارج. وبقي وحيداً في سورية، يكتب ويعلم وينير حلقات الأصدقاء بأمنه وفكره. وأنهكه المرض في الأعوام الأخيرة، لكنه لم يقعد عقله وجسمه الناحل. أنقلت عليه الغربة، وتجرع كأس الشتات المر، وتحمل بشجاعة مسؤولية تجارب اختار خوضها بكل ما كان فيها من خطأ وصواب، ومات وحيداً. ■

عنده الكلمة الفصل فيما نحتار في صوغه بالعربية لأنه يحتمل أكثر من صيغة، إذ كان ضليعاً باللغات الثلاث.

تشاركت مع الياس (وكان ثالثنا الدكتور وليد خدوري الذي انضم أيضاً إلى المؤسسة في الفترة نفسها) في جميع اللجان الناشطة في مؤسسة العمل في المؤسسة. وشكلت سنة ١٩٧٢ - برأيي - بداية النهضة الثانية للمؤسسة بعد التأسيس في سنة ١٩٦٣، فشهدت المؤسسة تنظيم دوائر وأقسام: الدراسات الدولية، الدراسات العربية والفلسطينية، الدراسات العبرية، وإضافة باحثين غير متفرغين (من أساتذة الجامعة الأميركية)، وتشكيل لجان: لجنة الأبحاث، هيئات تحرير النشرة والمجلات، لجنة إدارية، تأسيس النشرة في سنة ١٩٧١ ومجلة *Journal of Palestine Studies* في السنة نفسها، ومجلة *Revue d'Etudes Palestiniennes* في سنة ١٩٨١. وتم وضع النظام الداخلي للموظفين. وعقد المؤتمرات الدولية التي شارك فيها أساتذة جامعيون من الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، والاتحاد السوفياتي.

وكان الياس جزءاً نشيطاً وحيوياً في بناء هذه المرحلة من عمر المؤسسة بكل تفصيلاتها، من دون أن يفقد صلته القوية والمباشرة بالحراك الثوري، وكنا نشاركه حلقات النقاش في شؤون حركته ("فتح") وغيرها من فصائل الثورة.

أنتج الياس شوفاني في أثناء الأعوام العشرة التي أمضاها في المؤسسة عدة كتب، علاوة على إشرافه على أي ترجمات عن العبرية. وشارك في إنتاج المشروع الضخم الذي تصدت له المؤسسة (ترجمة ونشر